" المناظر المائية على التحف القبطية منذ القرن الثانى وحتى القرن السادس الميلاديين" دراسة آثارية فنية مقارنة

د. محمد سامي عدلي إبراهيم القاضي♦

إن أهمية المياه للحياة تفوق كل التخيل، فهى مصدر الحياة ولذلك نجد الفنان على مر العصور قد إهتم بالمناظر التى تعبر عنها، ورسوم المناظر التى تصور الحيوانات والطيور والنباتات المائية مصورة على كثير من التحف القبطية، وتشتمل تلك المناظر على نوعية مختلفة من الأسماك والطيور والتماسيح وغيرها، كما أنها تصور تفاصيل حياة تلك الحيوانات والطيور فى بيئتها التى درسها الفنان بعناية فائقة، كذلك مناظر السفن والمراكب والأدوات المستخدمة بها، ومناظر الصيد فى الماء ومناظر التعميد وغيرها من المناظر التصويرية.

فمنذ العصر المصري القديم كان هناك إهتمام من قبل الفنانين فى الزخرفة برسوم المناظر المائية، كما تظهر مشاهد صيد الأسماك على جدران العديد من المقابر المصرية القديمة، كذلك فى العصر الهلينستي وما تلاه من فترات كانت رسوم مناظر المياه والبيئة المحيطة بها محببة فى عالم البحر المتوسط والبلاد التى تطل عليه، فنرى مناظر لأسماك ونباتات نيلية وأحياناً التماسيح وغيرها من المناظر التى لها علاقة بالماء فى زخرفة العديد من التحف القبطية.

"ولقد استقى الفن القبطي كغيره من فنون الحضارات المختلفة مصادره من الحضارة السابقة والمعاصرة له مثل الفن اليونانى الوثني عند اليونان والفن الهيلينستي وهو الفن اليونانى الذى نشأ فى الشرق وخاصة مصر والذى تأثر بالفنون القديمة كالفن المصرى القديم، والفن الرومانى، والفن التدمرى السورى الذى إنتقل إلى الإسكندرية مع غزو الملكة زينوبيا للعاصمة المصرية تحت حكم الرومان، والفن الساسانى الفارسي الذى جاء مع الإحتلال الساسانى لمصر بعد طرد الرومان، وفنون البطالمة، والفن الشعبي المصري، وبعض الرموز من الفن المصري القديم، والفن البيزنطي المسيحي"[١].

والفن القبطي فن أصيل له ذاتيته وخصائصه المميزة، "وقد قام الفن القبطي من أجل الشعب وأسهم فى تربية عقول العامة، وكان هذا الفن رغم ذاتيته متطوراً مع المعتقدات والعادات المتباينة فقد تأقلم شكله الفنى خلال العصور المختلفة، فقد إرتدى

♦ معيد بقسم الآثار – شعبة الآثار الاسلامية – كلية الآداب – جامعة أسيوط.

[١] حكمت محمد بركات: جماليات الفنون القبطية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٩، ص ص ١١ ، ١٢.

أبطاله الشعبيون كل الأزياء، فلقد اقتبس فن مصر القبطي بعض عناصره من الفنون الأخرى خلال الأحداث السياسية أو العلاقات التجارية، فمثلاً بحكم موقع الاسكندرية الحساس أخذ الفنانون الأقباط فيها عن الفن اليونانى والرومانى بعض العناصر بعد أن حوروها وجردوها من نسب الطراز الرومانى الأصلي وأبعاده، كما أخذ الفنان القبطي كذلك من الفن البيزنطى ومن الفن الساسانى، ورغم كل ما إقتبس بقي الفن القبطي محافظاً على جوهر قوميته وأصالته"[٢]. "....، كما استمد الفن القبطي وجوده من الطبقة المتوسطة والنفوذ الكنسي بعكس الفن البيزنطى الذى رعاه الأباطرة، فلقد كان الفن القبطي صورة صادقة للشعب بزهده وفكاهته وتعبده، ولذلك كان فنا أصيلا، رغم أنه لم يتطرق إلى التفصيلات ولم يرق إلى فخامة الفن المصري القديم السابق عليه، ولكنه كان صادق التعبير"[٣].

ولقد ذكرت المياه اكثر من مرة فى الكتاب المقدس فعلى سبيل المثال لا الحصر: {شق الصخرة فانفجرت المياه جرت في اليابسة نهرا}، ولقد إهتم الفنان القبطي برسوم المناظر المائية وكل ما يتصل بها من كائنات وأداوت مائية وقد كان لكل من تلك المناظر رمزية ودلالة معينة لديه ورسوم تلك المناظر المائية قد تمثلت على العديد من التحف القبطية.

ولا شك أن هذه المناظر المائية هى رمز يوحى بالإزدهار والرخاء فلقد ذكر لنا المولى عز وجل فى القران الكريم {وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} صدق الله العظيم.

ونستطيع أن نقسم التاريخ القبطي إلى ثلاث مراحل كالأتى:

"المرحلة الأولى: وهي التى تشمل ما قبل الإمبراطور قسطنطين أى الفترة من ١٧٥ وحتى ٣١٣م.

المرحلة الثانية: وهى التى تمتد من عهد الإمبراطور قسطنطين أى منذ سنة ٣١٥م وحتى الفتح العربي الإسلامى لمصر ٦٤١م، وفى هذه المرحلة أخذت المسيحية تزدهر شيئا فشيئا.

المرحلة الثالثة: وهي التى تبدأ بالفتح العربي الإسلامى لمصر، حيث أسلم كثير من الأقباط وإنكمش فنهم ولم يبقى منه إلا ما يتصل بالدين وأقتصر على زخرفة الكنائس والأديرة وعلى تجميل ملابس الذين يؤدون الشعائر"[٤]، وفى بحثنا هذا سوف يكون التركيز على المرحلة الأولى والثانية أى من القرن الثانى حتى السادس الميلادى.

"دخلت المسيحية مصر فى منتصف القرن الأول الميلادى، فى وقت كانت فيه أفكار الناس حائرة مضطربة بين عشرات المعبودات التى قدمتها لهم الديانات

---

[٢] القمص يوساب السريانى: الفن القبطي ودوره الرائد بين فنون العالم، مطبعة الأنبا رويس العباسية الأوفست، ١٩٩٥،ص ١١.

[٣] حكمت محمد بركات: جماليات الفنون القبطية، ص ١٣ : ٣٣.

[٤] حكمت محمد بركات: جماليات الفنون القبطية، ص ٧ : ٩.

المصرية واليونانية والرومانية بالأضافة إلى الديانة اليهودية وبعض الديانات الشرقية الأخرى، وإستطاعت المسيحية أن تتغلغل فى روح المصري، بقدر ما كان مستعداً لقبولها، بما ورثه من ممهدات لذلك فى ديانته المصرية القديمة، وقد انتشرت المسيحية إنتشاراً سريعاً، واستمرت فى النمو حتى قضت نهائياً على الوثنية وانتصرت على اليهودية حتى لم يتبق من اليهود سوى طائفة ضئيلة لا أهمية لها، ولم يتم هذا الإنتشار بسهولة وإنما تم بعد صراع جبار كان له ميدانان ميدان فكرى قامت به *مدرسة الإسكندرية اللاهوتية وعلماء المسيحيين وفلاسفتهم، والميدان الآخر هو ساحة الاستشهاد...*، كان النزاع فى أولى صوره نزاعاً بين دينين المسيحية والوثنية، ولكن ما أن نمت المسيحية فى مصر حتى أصبحت تمثل الشعب المصرى كله تقريباً، وظل الحكام الرومان يمثلون الديانة الوثنية، وظهر عندئذ بوضوح أن هذا النزاع كان فى نفس الوقت صراعاً بين شعب وحاكميه، أو بين أبناء وطن ومستعمريه. وهكذا تركز الشعور القومى وتوحد، وأخذ أقباط مصر يتمسكون بقوميتهم كراهة فى كل ما هو أجنبي عنهم، فكان من نتائج ذلك فيما بعد ظهور الحركة الأدبية القبطية. ولقد بدأ هذا الصراع بين مصر المسيحية وحكامها الرومان منذ القرن الأول الميلادى ولم ينته إلا بدخول العرب مصر، فلقد ظل أباطرة الرومان أعداء سياسيين للشعب المصرى، كما كانوا له فى نفس الوقت أعداء دينيين طوال العصر الرومانى، وكما إضطهدت مصر على يد أباطرة الرومان الوثنيين إضطهاداً عنيفاً، كذلك إضطهدت بنفس العنف من أباطرة الرومان المسيحيين، ولا يستثنى من ذلك إلا عدد ضئيل جداً من هؤلاء الأباطرة كانت فترات حكمهم بمثابة هدنة سرعان ما تنتهى لتستانف مصر صراعها مع الحكم الرومانى من جديد"[٥].

"ولقد كان الأباطرة الوثنيون ينظرون إلى المسيحيين عامة كمصدر خطر عليهم، لذى إضطهدوهم أينما وجدوا، ولكن الإضطهادات التى حلت بمسيحي مصر كانت أبشع قسوة وأكثر عدداً، لما إتصف به الأقباط من الصلابة والثبات على إيمانهم. وقد شعر الأباطرة وولاتهم أنهم أمام شعب شجاع متمسك بدينه، لا تؤثر معه الإغراءات وطرق الإستمالة المتنوعة، فإستخدموا معه كافة ألوان التعذيب الوحشية من حرق وجلد وصلب وسلخ وغير ذلك، ومغ ذلك لم تحدث كل هذه الوسائل جدوى، بل كان الناس يأتون من تلقاء أنفسهم إلى الولاة مجاهرين بمسيحيتهم، وتطور الأمر بالولاة والأباطرة، فبعد أن كانوا يعمدون إلى قتل الأفراد أخذوا يبيدون قرى ومدناً بأسرها وصار عدد الشهداء يقدر بمئات الآلاف"[٦]، هذا كله هو ما دفع الأقباط إلى

[٥] مراد كامل:حضارة مصر فى العصر القبطي،دار العالم العربى،القاهرة، د.ت، ص ص ٢٨ ، ٢٩.
[٦] مراد كامل: حضارة مصر فى العصر القبطي، ص ٣١.

الإجتهاد فى الفن وإلى ظهور بعض المناظر على تحفهم كانت لها رمزية معينة لديهم فى تلك الفترة، ومن تلك المناظر، المناظر المائية موضوع البحث.

= الكائنات الحية والخرافية فى تلك المناظر المائية:-

إن التحف القبطية مليئة بالتأثيرات الهلينستية والمصرية القديمة، "فقد اكتمل امتزاج العناصر الهلينستية والمصرية القديمة فى مصر في العصر البطلمى، أى العصر الذى انتشرت فيه العناصر الهلينية وما دخل عليها من عناصر شرقية قديمة بعد حرب (Diadoque)، ومع ذلك فقد وجد بمدينة الإسكندرية العاصمة فى ذلك الوقت فنيين متميزين، فن أرستقراطى من الدرجة الأولى قوامه الفن الهلينى الذى يوافق مزاج الأمراء من البطالمة وفن شعبي صناعى كان نتيجة إمتزاج الأساليب الهلينستية والمصرية القديمة، وقد كون هذا الفن السكندري بدوره قواعد وأصول الفن القبطي"[٧].

والفن القبطي يعتبر ثمرة ما سبقه من فنون ومؤثرات فنية، فنجد به أثر الفن المصري القديم والفن الإغريقي والفن الرومانى، "وإن كنا فى الواقع نجد الروح المصرية الخالصة كلما إتجهنا فى البلاد جنوباً. وكذلك تأثر الفن القبطي بالفن السوري وفنون البلاد المجاورة، إذ أن المسيحية قد نشأت في بلاد فلسطين وانتشرت فى الشام وبلاد البحر المتوسط، وانتشرت معها بعض فنون تلك البلاد بحكم الإتصال، وصار المصريون يهتمون بفنونها وبخاصة فى الشام"[٨].

ومن تلك الزخارف التى تمثل الكائنات الحية والخرافية:

زخرفة الأسماك: "تعتبر الأسماك من أهم مصادر الثروة المائية منذ العصر الحجرى الحديث فقد استوطن المصرى القديم قريباً من مياه النيل خاصة فى فصل الفيضان وكانت غنية بالأسماك التى تعيش فى مياهها، وكان أكل السمك محرما فى بعض أيام السنة ولعلهم أرادوا بذلك إفساح المجال لتتكاثر الأسماك فى النيل حيث تقل الأسماك فى وقت إنخفاض الماء، ولقد ترك المصريون القدماء نقوشا بديعة تفيض بالحياة لدرجة تثير الدهشة للأسماك النيلية خاصة على جدران معبد الدير البحرى، ومن هذه الأسماك ما يمكن تمييزه بسهولة مثل أسماك البياض، وكان بعض المصريين القدماء يقدسون الأسماك، ويحرمون صيدها أو لمسها أو أكلها مثل أسماك قشر البياض، البنى وثعبان الماء ويعتقدون إنها أرواح طيبة من أرواح الماء، ولقد برع المصريون القدماء فى حفظ الأسماك وتجفيفها، واستخراج البطارخ من بعض أنواعها كما يرى ذلك فى

---

[٧] سعاد ماهر: الفن القبطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧، ص ٩.

[٨] مراد كامل: حضارة مصر فى العصر القبطي، ص ص ١٣٤ ، ١٣٥.

أحد رسوم مقبرة بسقارة، وكانت الأسماك تحنط وتحفظ فى المقابر مع أنواع الطعام والشراب الأخرى.

وفى العصر الإغريقي ظهرت الأسماك فى كثير من المناظر، أما منذ دخول المسيحية أرض مصر فقد أصبحت الأسماك لها معنى جديد، فأصبحت من رموز المسيحية ومن مميزات الفن القبطى فى مصر، وكانت السمكتان المتقاطعتان رمزاً محبباً للفن القبطى فى عصور الإضطهاد، ويلاحظ أن تصوير السمك فى الفن القبطى يعتبر امتداداً لمناظر الصيد فى مصر القديمة إذ أن هناك تشابهاً كبيراً بينهما فترى السمك فى الماء والقارب والصياد منهمكا فى الصيد"[٩].

وتعتبر زخرفة الأسماك من الزخارف الهامة فى الفن القبطي "وهى وحدة زخرفية من وحدات الزخرفة للكائنات الحية وأعتمد الفنان القبطي فى التعبير عن فنه برسم الأسماك المتنوعة فى الماء ظاهرة بأسلوب رسوم الفن المصري القديم على المعابد وترسم إما أسفل السفن أو فى خارج المياه كوحدة زخرفية منفصلة، وقد وجدت هذه الزخرفة على الفخار سواء كان أختام أو على شبابيك القلل أو على الفنون التطبيقية المتنوعة المراد الرسم عليها زخرفة الأسماك وأخذا هذه الوحدة التنوع ووزعت بأشكال هندسية مختلفة"[١٠].

زخرفة التمساح: "إن التمساح قد جاء ذكره باللفظ المباشر الذي يدل عليه التمساح، في (هكذا قال السيد الرب هأنذا عليك يا فرعون مصر التمساح الكبير الرابض في وسط أنهاره. الذي قال نهرى لى أنا عملته لنفسى. فأجعل خزائم في فكيك، وألزم سمك أنهارك بحرشفك وأطلعك من وسط أنهارك، وكل سمك ملزق بحرشفك. وأتركك في البرية أنت وجميع سمك أنهارك. على وجه الحقل تسقط ولا تجمع ولا تلم. بذلتك طعاماً لوحوش البر وطيور السماء)[١١]. وهنا يرمز التمساح إلى شر الإنسان حينما يتكبر وينسب لنفسه أعمال الله وقوتها"[١٢].

"وجاء ذكره أيضا (لوياثان) ولوياثان هى كلمة عبرية تعنى ملتف، وهو حيوان مائى كبير يرجُح أنه التمساح، ويقصد بها الوحوش العظيمة سواء كانت برية أو

---

[٩] الفونس فخرى بسطاوروس: الثروة السمكية (الواقع والأمل) مع الحفاظ عليها كمصدر هام من مصادر البروتين الحيوانى، نقلاً عن: http://acc.aun.edu.eg/arabic/mag/A4.htm

[١٠] محمد عبد الرحمن فهمي: العمارة والفنون القبطية في مصر، المعهد العالي الفندقي(إيجوث)، الأقصر، ٢٠٠٨، ص ص ١٧٧، ١٧٨.

[١١] خروج ٢٩: ٢-٥.

[١٢] بولين تودري: التمساح في الفن القبطي، في القرون الميلادية الأولى وأصوله الفرعونية واليونانية والرومانية، مجلة راكوتي، جمعية مارمينا العجايبي للدراسات القبطية بالإسكندرية، ٢٠٠٨، نقلاً عن: http://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-030-Pauline-Todary/002-Al-Temsah/Crocodile-in-Coptic-Art-03-Bible.html

بحرية، وجاء ذكر التمساح بلفظ "لوياثان" في سفر أيوب أصحاح ٤١، هذا الأصحاح كله يخاطب فيه الله أيوب بعد طول مرضه، إذ أراد الله أن يكشف لأيوب عن قدرته السرمدية التي تغلب كل قوى الشر، حتى لو كان هذا الشر هو مرض عضال استمر لسنين طويلة، ٣٠ سنة، وإستخدم الرب في ذلك التمساح، كنموذج لأشرس الحيوانات المائية، وبدأ يصف لأيوب عن صفاته، فإبتدأ ببعض الأسئلة الإستنكارية التي تفيد بأن لا أحد يقدر أن يقف في مواجهة لوياثان، وفي باقى الأصحاح، نجد وصف لجسم لوياثان أو التمساح وقدراته الفائقة، ليس لتبين جماله، بل للكشف عن أسلحة دفاعه، وجاء ذكر التمساح بلفظ (لوياثان) أيضا في {ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت. ملآنة الأرض من غناك. هذا البحر الكبير الواسع الأطراف. هناك دبابات بلا عدد. صغار حيوان مع كبار. هناك تجرى السفن. لوياثان هذا خلقته ليلعب فيه. كلها إياك تترجى لترزقها قوتها في حينه. تعطيها فتلتقط. تفتح يدك فتشبع خيرا. تحجب وجهك فترتاع. تنزع أرواحها فتموت وإلى ترابها تعود. ترسل روحك فتخلق. وتجدد وجه الأرض[١٣]}، وهنا يرمز "لوياثان" إلى قدرة الله العالية التي خلقت هذه التنانين العظام وأعطاها طعامها"[١٤].

زخرفة الدرفيل: "على مر التاريخ، وصولا إلى يومنا هذا، كانت هناك حكايات عن الحيتان والدرافيل المحببة للبشر، ففي العالم اليوناني والرومانى القديم، كان هناك الكثير من الحكايات عن الفتيان الذين شكلوا صداقة وثيقة جدا بالدرافيل، فعلى سبيل المثال يحكي انه كان هناك درفيل اسمه سيمو يتخذ ولدا فقيرا على ظهره يعبر به المياه بين منزل الصبي ومدرسته، ولكن للأسف، سقط مريضا وتوفي الصبي، وبعد ذلك سرعان ما وجد سيمو ميتاً على الشاطئ، ويبدو انه قتل نفسه من الحزن، هذه هي مجرد واحدة من حكايات عديدة عن الناس والدرافيل الذين كانت بينهم علاقة وثيقة في العالم اليوناني والروماني القديم، وكثير من التحف اليونانية والرومانية من النقود وغيرها كانت مزينة برسوم لصبيه يركبون على درافيل"[١٥]. وقد وجدنا فى الفن القبطي العديد من القطع الفنية المزخرفة برسوم لدرافيل بجانب حورية البحر أو أسماك أو تحمل فوقها صبيه.

زخرفة حورية البحر: "حوريات البحر أو عرائس البحر (بالإنجليزية: Mermaid) هي حوريات أسطورية خيالية قد تكون حقيقية تسكن في البحار والبحيرات، تصور

---

[١٣] مزمور ١٠٤: ٢٤- ٣٠.

[١٤] بولين تودري: التمساح في الفن القبطي، في القرون الميلادية الأولى وأصوله الفرعونية واليونانية والرومانية.

[١٥] الحيتان والدرافيل: نقلا مع بعض التعديلات عن http://translate.google.com.eg/translate?hl=ar&langpair=en%7Car&u=http://en.wikipedia.org/wiki/Dolphin

حوريات البحر ككائنات تجمع بين صفات البشر والأسماك، فالقسم العلوي – وهو القسم البشري– يتمتع بكامل صفات البشر العلوية من الرأس إلى السرة، بينما القسم السفلي – وهو القسم السمكي– يتمتع بجسم سمكي من السرة إلى الذيل، ويوجد منها زوجين ذكر وأنثى، وهناك نوع من الحوريات البحرية مثل البشر العاديين (الأرضيين) لكنهم قادرون على التنفس والعيش تحت الماء. وحوريات البحر عادة يكن جميلات وساحرات ولهن حكايات عديدة توارثت بين عدة أجيال، وقد ظهرت أول قصص الحوريات البحرية عام ١٠٠٠ ق.م، عندما أحبت الإلهة أتارجاتيس (بالإنجليزية: Atargatis) – أم الملكة الآشورية سميراميس– أحد البشر ثم قتلته بغير قصد، فخجلت من فعلتها فألقت بنفسها في البحيرة لتصبح على شكل سمكة، لكن المياه لم تخفي جمالها الإلهي، فأخذت صورة حورية – إنسانة فوق الخصر وسمكة تحت ذلك"[١٦].

إله النيل: لقد شخص الإغريق والرومان نهر النيل كإله، وأسموه نيلوس.

بعض النمازج من تلك التحف:

= جزء من كرنيش من الحجر الجيري لحورية بحرية على ظهر كائن بحري خرافى ومنظر لصبي فاقد الزراع عارياً يجلس أعلى درفيل، ورسوم لأسماك، لوحة رقم (١).

١- مادة الصناعة: الحجر الجيري
٢- القرن: الثالث / الرابع الميلادى
٣- المصدر: اهناسيا المدينة
٤- الأبعاد: ٧٣ × ٢٤ سم
٥- مكان الحفظ: المتحف القبطي بالقاهرة
٦- تاريخ الورود للمتحف: ١٩٤١
٧- رقم السجل: ٧٠٣٣
٨- الوصف الفنى:افريز من الحجر الجيري لحورية بحرية على ظهر كائن بحري خرافى لعله حصان البحر، ومنظر لصبي عارياً يجلس أعلى درفيل،وفى منتصف الافريز سمكتين يظهران وكأنهم يسبحان إلى أسفل، كذلك إلى جانب الدرفيل فى الجزء الأيسر للناظر إلى الافريز يظهر منظر لسمكة تسبح إلى الأسفل، شكل رقم (١).

= حنية من الحجر الجيري عليها نقوش بارزة أسطورية تمثل حورية البحر وحيوان بحرى خرافى ودرفيل، لوحة رقم (٢).

١- مادة الصناعة: الحجر الجيري
٢- القرن: الثالث / الرابع الميلادى

[١٦] حقيقة حوريات البحر: نقلاً عن http://alfrasha.maktoob.com/alfrasha64/thread242512

٣- المصدر: اهناسيا المدينة
٤- الأبعاد: ١٠٢ × ٥٣ سم
٥- مكان الحفظ: المتحف القبطي بالقاهرة
٦- تاريخ الورود للمتحف: ١٩٤١/٥/٩
٧- رقم السجل: ٧٠١٧
٨- الوصف الفنى: حنية من الحجر الجيري عليها نقوش بارزة أسطورية تمثل حورية البحر راقدة على حيوان بحرى خرافى، ويظهر درفيل على يمين الناظر لذلك المنظر، والمنظر محاط بإطار من نبات الاكانتس والنخيل، شكل رقم (٢)، ونجد أن حورية البحر هذه شديدة الشبه بدافنى، دافني (باليونانية القديمة: Δάφνη، والتي تعني "شجرة الغار") بحسب الميثولوجيا الإغريقية القديمة، هي إحدى حوريات المياه العذبة، كانت دافني تخرج مع مجموعة من الحوريات والكلاب للصيد، عشق أبولو دافني وكان يطاردها باستمرار، بينما كانت تعزف عنه وتبحث عن شتى الوسائل للهرب منه، في النهاية، توسلت دافني للآلهة كي تخرجها من المأزق الذي كانت توجد فيه، فحولتها إلى شجرة غار. ولهذا السبب، كانت شجرة الغار مقدسة عند أبولو[١٧].

= قطعة من افريز من الحجر الجيري مقسمة إلى جزئين العلوي يمثل حورية بحرية، لوحة رقم (٣).
١- مادة الصناعة: الحجر الجيري
٢- القرن: الرابع / الخامس الميلادى
٣- المصدر: اهناسيا المدينة
٤- الأبعاد: الطول ٦٠ × ٣٤ سم
٥- مكان الحفظ: المتحف القبطي بالقاهرة
٦- تاريخ الورود للمتحف: ١٩٣٢/٥/٣٠
٧- رقم السجل: ٣٥٥٩
٨- الوصف الفنى: قطعة من افريز من الحجر الجيري مقسمة إلى جزئين، السفلى به زخارف نباتية منحوتة نحتاً بارزاً، والعلوى يمثل حورية بحرية متكئة على الجزء السفلى من الافريز ، ونلاحظ فى تلك القطعة تشابه بين حورية البحر وبين حورية البحر التى ظهرت فى القطعة السابقة، التى ظهرت مع كائنات بحرية كحصان البحر والدرفيل والأسماك، مما جعلنا نؤكد أن الفنان يقصد بها حورية البحر.
= أفريز من الخشب عليه نقوش تمثل مشهداً نيلياً، لوحة رقم (٤).
١- مادة الصناعة: الخشب

[١٧] دافنى: نقلاً عن http://www.theoi.com/Nymphe/NympheDaphne.html و http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D8%A7%D9%81%D9%86%D9%8A

٢- القرن: السادس / السابع الميلادى
٣- المصدر: مشتراه من الدكتور كيمر
٤- الأبعاد: ٩٥ × ٢١ سم
٥- مكان الحفظ: المتحف القبطي بالقاهرة
٦- تاريخ الورود للمتحف: ١٩٤٦/٥
٧- رقم السجل: ٧٢١١
٨- الوصف الفنى: "تعبر هذه القطعة عن أجواء النيل، من خلال منظر التمساح وهو يسبح بين زهور النيلوفر وزهرة لوتس وردية عملاقة....، ولقد كانت هذه المشاهد النيلية شائعة فى العصر الرومانى وإمتدت فيما بعد إلى سائر أنحاء الإمبراطورية باعتبارها تمثل عالماً غرائبياً متعدد الأشكال[١٨]" ، شكل رقم (٣).

= حنية من الحجر الجيري مزدانة فى شكل قوقعة بزخارف نباتية ودرفيلين على اليمين واليسار لوحة رقم (٥).
١- مادة الصناعة: الحجر الجيري
٢- القرن: الثالث / الرابع الميلادى
٣- المصدر: اهناسيا المدينة
٤- الأبعاد: ٩١ × ٥٥ سم
٥- مكان الحفظ: المتحف القبطي بالقاهرة
٦- تاريخ الورود للمتحف: ١٩٣٢/٥/٣٠
٧- رقم السجل: ٣٥٥٧
٨- الوصف الفنى: حنية من الحجر الجيري مزدانة فى شكل قوقعة بزخارف نباتية ودرفيلين على اليمين واليسار، ويشتمل إطار الحنية على غصون وأشكال هندسية، ويتوسط الحنية قوقعة ودرفيلين على الجانبين، شكل رقم (٤)، وهذا الطراز الزخرفي دارج فى أهناسيا المدينة، والذى يدل على أن هذه القطع صنعت من قبل فنانين أقباط اننا وجدنا العديد من القطع التى تمثل حنايا تشتمل بداخلها على قوقعة أو صدفة يتوسط مركزها صليب، ترجع إلى نفس الفترة، وصنعت بنفس الأسلوب.

= جزء من كتف جدارية، يبرز منها تمثال نصفي لإله النيل، لوحة رقم (٦).
١- مادة الصناعة: الحجر الجيري
٢- القرن: الثالث / الرابع الميلادى
٣- المصدر: اهناسيا
٤- مكان الحفظ: المتحف القبطي بالقاهرة

[١٨] معهد العالم العربي فى باريس: الفن القبطي فى مصر ٢٠٠٠ عام من المسيحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨،ص ١٦٥.

٥- رقم السجل: ٧٠٢١
٦- الوصف الفنى: جزء من كتف جدارية، "يبرز منها تمثل نصفي لإله النيل ملتحيا ومرتديا عصابة مزدانة بوريدات وزهرات رباعية، وتقف على كتفه حورية عاشقة تمسك ببطة، وتظهر على جانبي التمثال زهور اللوتس"[١٩].

= منسوجة مزدانة بأسماك لوحة رقم (٧).
١- مادة الصناعة: الصوف
٢- مكان الحفظ: مدينة ليون، متحف الأقمشة
٣- المصدر: أنتينويه
٤- الأبعاد: ١٣٨ × ٨٧ سم
٤- القرن: الثانى / الثالث الميلادى
٥- رقم السجل: ٢٨٩٢٧
٦- الوصف الفنى: "منسوجة مزدانة بأسماك، وهى ذات جودة عالية من الوجه والظهر، ويمكن أن ترى من الجانبيين[٢٠]" ، ربما كانت تعلق كستارة، وهى تمثل منظراً لمجموعة أسماك تسبح فى بحر فى إتجاهات مختلفة.

= المراكب وأدوات الصيد فى تلك المناظر المائية:-

".....، لعبت السفن دوراً حاسما فى حياة المصريين منذ أقدم العصور التاريخية وما قبل التاريخية، وقد استخدمت المراكب أو القوارب في صيد الأسماك؛ بالشباك أو الرماح أو السلال المخروطية، وتظهر مشاهد صيد الأسماك على الكثير من جدران المقابر المصرية القديمة، فكانت المقابر تزين بنقوش من مشاهد تصور المتوفى في رحلة صيد السمك مع الأسرة بطول النهر؛ وهو ما كان المتوفى يتمنى أن يتمتع به في حياته الآخرة. كما كان يتم وضع نماذج مصغرة لقوارب تستخدم لنقل روح المتوفى فى العالم الآخر. إن مصر بنيلها الفياض تعتبر واحدة من أعجب بلاد العالم، فهى عبارة عن واحة شاسعة يخترقها مجرى نهر عظيم يفيض على شاطئيها فيكس أرضها الخصوبة ويمد أهلها بالخير والسعادة، ولا شك ان النيل كان قد أثر على حياة الإنسان الأول فى كل مظهر من مظاهرها، بل أن التقسيم الزمنى كان مطبوعاً بطابع نيلي، اذ قسمه المصري منذ أول العصور إلى ثلاثة فصول: فصل الفيضان، فصل بروز الأرض، فصل الجفاف، وشمل كل فصل منها أربعة أشهر....، وإذا كان المصري قد إستطاع منذ فجر تاريخه أن يصنع قوارب كبيرة من سيقان البردى فقد اضطر بعد فترة من تكامل تطوره أن يقدم على صناعة قوارب أكبر من الخشب....،

[١٩] جودت جبرة وأنتونى ألكوك: المتحف القبطي وكنائس القاهرة القديمة، الشركة العالمية المصرية للنشر – لونجمان، ١٩٩٩، ط٢، ص ٥٤.
[٢٠] معهد العالم العربي فى باريس: الفن القبطي فى مصر ٢٠٠٠عام من المسيحية، ص١٦٦.

لم تكن مهمة المصرى سهلة عندما أقدم على صناعة القوارب الخشبية إذ لم يجد في بيئته أشجار طويلة متينة، فمن المعروف أن مصر لم تعرف سوى أشجار الجميز والسنط، وكلاهما لا يصلح كثيرا فى صناعة السفن، ولكن حاجته الملحة إلى قوارب كبيرة تتحمل السفر الطويل بين أقصى الشمال وأقصى الجنوب قد جعلته يتغلب على هذه العوائق وينجح فى استعمال هذين النوعين فى صناعة السفن....، ولقد هيمنت القوارب على المجتمع المصرى كسبيل وحيد للسفر والتنقل، كما انتشرت معان كثيرة تعكس لنا مدى اهتمام المصرى بالملاحة، وكذا لم يلعب النيل دوره الرئيسي فقط فى اعطاء الحضارة المصرية مظهرها المتكامل بل لقد دفع المصريين إلى الاعتماد كلية على الإنتقال على صفحته وبذلك سبقوا الشعوب القديمة إلى صناعة السفن"[٢١].

ومن تلك التحف التى تشتمل على مناظر مائية من ذلك النوع:

= قطعة من الطرف السفلى لقوس عقد، لوحة رقم (٨).

١- مادة الصناعة: الحجر الجيري

٢- القرن: الخامس الميلادى

٣- المصدر: فقط ؟

٤- الأبعاد: ٤٨ × ٣٣ سم .

٥- مكان الحفظ: المتحف القبطي بالقاهرة

٦- رقم السجل: ٨٠٠٢

٧- الوصف الفنى: قطعة من الطرف السفلى لقوس عقد مزدانة بمنظر صيد للسمك، يجلس رجل فى زورق يصيد السمك، ويعشش طائران على البردى وزهور اللوتس، ويحف بالمنظر إطار ذو زخارف على شكل القلوب وحبات اللؤلؤ، من الحجر الجيري، "لقد أخرج الفنان هذا النحت الرقيق بنقش خفيف البروز، وتبدو عناصر المنظر كل حدة سليمة النسب، إلا أن النسب بين بعضها البعض غير متوازنة، ومع ذلك لا يفتقر التكوين إلى الانسجام، ولهذه القطعة أهمية خاصة إذ احتفظت لنا فى وضوح شديد بتقليد مصري قديم لموضوع كان عمره آنذاك حوالى ثلاثة آلاف عام، فالصيد فى المستنقعات يعد من المناظر المحببة المصورة على جدران مقابر الأشراف وخصوصاً فى الفترة من الأسرة الخامسة وحتى الأسرة الثامنة عشر"[٢٢]، وتتدفق تفاصيل المنظر بالحيوية وخصوصاً الطائران والصياد الجالس القرفصاء، والزخارف التى على شكل قلوب وهى زخارف إغريقية الأصل.

---

[٢١] عبد المنعم أبو بكر: البحرية المصرية القديمة، سلسلة تاريخ البحرية المصرية، جامعة الإسكندرية بالتعاون مع القوات البحرية بجمهورية مصر العربية، ١٩٧٣، ص ص ٩٠ ، ٩١.

[٢٢] جودت جبرة وأنتونى ألكوك: المتحف القبطي وكنائس القاهرة القديمة، ص ٦٩.

= الرمزية المسيحية فى تلك المناظر المائية:-

إن الرموز هي مفتاح الفنون لدى الفنان القبطي واذا استطاع المرء معرفة تلك الرموز يستطيع أن يفهم أو يقراء التحف القبطية من خلال النظر اليها.

و"في بداية الفن القبطي وخوفاً من الإضطهاد الروماني أخذ الفنان القبطي يستخدم رموزاً لا يفهمها الا المسيحيون ثم بعد إعلان المسيحية بدأت تتخذ الرموز مكانة دينية فاستمرت بوضوح وأصبحت من السمات المميزة للفن القبطي"[٢٣].

"والرموز ما هي إلا علامات معينة تشير إلي معانٍ محددة وتحل محلها، واستخدامها الإنسان منذ القدم، واتسعت استخداماتها في الحياة اليومية، ويستخدمها الفنانون عادة لتضفي قوة وجمالاً علي المعني، كما استخدموها للتعرف على بعضهم البعض سراً خوفاً من الاضطهاد....، ولقد عرفت مصر القديمة الرمزية واشتهرت برموزها، واعتمدت دياناتها عليها، وأخذت المسيحية أيضاً بالرمزية فلها رموزها في الصليب، والحمامة، والطاووس، والكرمة ... وغيرها، كما تمثل الألوان رموزاً أيضاً"[٢٤].

"....، اعتنق أقباط مصر مذهب اليعاقبة الذى يقول بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة وهو المذهب الذى يخالف مذهب الدولة البيزنطية "المذهب الملكانى" الذى يقول بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين وذلك كان سبب تعرض الاقباط إلى اضطهاد الرومان لمخالفتهم لهم فى المذهب الديني"[٢٥]،وهذا السبب هو الذى دفع الفنان القبطي إلى البعد عن الرسوم الآدامية والحيوانية أو تجريدها، وكذلك تخلص من الماديات فلم يعد يعنيه إلا الروح ولذلك لجاء إلى الرمز،ومن تلك على سبيل المثال لا الحصر:

السمكة: أخذت السمكة مكانة عالية فى الفن القبطى ولما لا وهى التى استخدمها الفنان القبطى فى عصر الإضطهادات الدينية ليتعرف على غيره من من على هذا الدين فكان يرسم نصف السمكة والأخر يكملها، والسمكة هذه تعنى باليونانية(المسيح مخلصنا)،كما انها ذكرت فى الكتاب المقدس أكثر من مرة فهى لها قدسية ورمزية خاصة،حيث ورد بالكتاب المقدس على سبيل المثال لا الحصر:{ قد تذكرنا السمك الذي كنا ناكله في مصر}[٢٦].

الصدفة: "وتأتخذ شكل الزهرة ذات السبعة بتلات، وهي ترمز إلى حالة الولادة من جديد على يد السيد المسيح، كما كانت الربة أفروديتي تخرج من الصدفة في الفن

---

[٢٣] عزت زكى حامد قادوس: تاريخ عام الفنون، دار المعرفة الجامعية،٢٠٠٠، ص ٤٠٢.

[٢٤] جرجس داود: الرموز والرمزية في الفن القبطي، مقالة، نشرت بموقع الكتيبة الطيبية الإليكتروني.

[٢٥] حكمت محمد بركات: جماليات الفنون القبطية، ص ١٣.

[٢٦] الكتاب المقدس، سفر العدد، الاصحاح رقم ١١ : ٥.

اليوناني والروماني، وبالتالي فإن الراهب يعتبر نفسه قد ولد من جديد مثل أفروديتي"[٢٧].

السفينة: إن رمز السفينة يُعد من أهم الرموز المسيحية التي أستخدمت في الفن القبطي "فهي مستوحاة من سفينة سوخاريس التي تنقل الأرواح إلى العالم الآخر والرمزية هنا تعبر عن نقل المؤمنين إلى البر المنشود وهو بر الأمان، والسفينة ترمز إلى الجنة المنشودة وهي رمز للخلاص حينما نجا من خلالها نوح عليه السلام والمؤمنين، وهي ترمز إلى الكون كله من خلال احاطتها برمز A.W أو البداية والنهاي"ة[٢٨].

التنين البحري: التنين البحري وهو من الرموز القبطية "حيث يمثل قوى الشر الموجودة في البحر، ونفذ الفنان معه بعض الحوريات للسيطرة عليه حيث يمثلن الكيان الروحي للراهب أو المتعبد في العقيدة المسيحية التى تسعى دائماً للتغلب على القوة الشريرة المتمثلة في بعض الرموز البحرية"[٢٩]، "ويرمز التنين إلى المخلوق الأسطوري في العهد القديم"[٣٠].

الدرفيل: الدرفيل فى الفن القبطي يرمز إلي القيامة والخلاص.

زهور اللوتس: ترمز إلى المستنقعات.

سعف النخيل: وهو الذي يمثل الشهداء، "والحقيقة أن ذلك لا يعني دوماً أن حامل السعف قد توفي شهيداً ولكن يعني التفاني في خدمة الرب حتى الموت"[٣١].

---

[٢٧] أمل عبد الصمد عبد المنعم: الرمز والرمزية المسيحية على الفسيفساء فى مصر، المؤتمر الدولى الأول للدراسات القبطية، مركز الخطوط، مكتبة الاسكندرية، قيد النشر.

[٢٨] محمد عبد الرحمن فهمى: العمارة والفنون القبطية في مصر، ص ١٨٤ ، ١٨٥.

[٢٩] أمل عبد الصمد عبد المنعم: الرمز والرمزية المسيحية على الفسيفساء فى مصر.

[٣٠] محمد عبد الرحمن فهمي: العمارة والفنون القبطية في مصر، ص ١٨٥.

[٣١] ضاحي شعبان حسن على: دراسة لتقنيات صناعة الأيقونات ودورها في اختيار طرق الترميم المناسب مع عمل تطبيقات على بعض النماذج المختارة للبحث، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩، ص ١٦.

= اللوحات والأشكال:-

لوحة رقم (١): إفريز من الحجر الجيري لحورية بحرية على ظهر كائن بحري خرافى ومنظر لصبي عارياً يجلس أعلى درفيل، ورسوم لأسماك، تصوير الباحث.

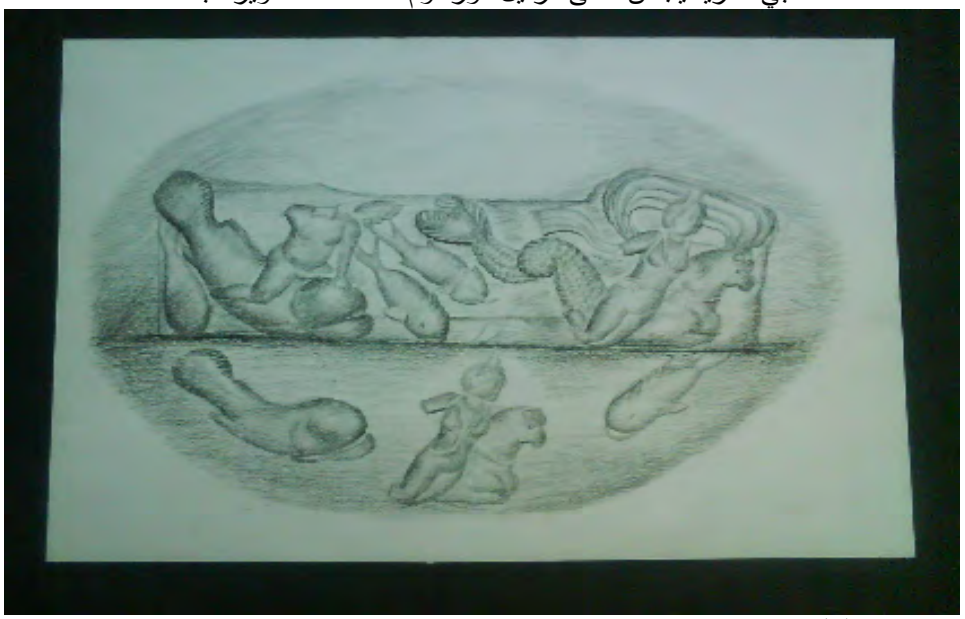

شكل رقم (١): تفريغ للوحة السابقة وتظهر به تفاصيل حورية البحر وهى تعلو الكائن البحري الخرافى وبجانبها السمكتين وهم يسبحان إلى أسفل ثم الدرفيل الذى يعلوه طفل عارياً وسمكة أخرى تسبح إلى أسفل، ثم تفريغ بالأسفل لحورية البحر والكائن البحري والدرفيل والسمكة، عمل الفنانه سلمى طلعت محروس.

لوحة رقم (٢): حنية من الحجر الجيري عليها نقوش بارزة أسطورية تمثل حورية البحر وحيوان بحرى خرافى ودرفيل، تصوير الباحث.

شكل رقم (٢): تفريغ للوحة السابقة وتظهر به حورية البحر وهى تعلو حيوان بحري خرافى وبجانبهم درفيل، وبالأعلى تفريغ لتفأصيل الدرفيل، عمل الفنانه سلمى طلعت محروس.

لوحة رقم (٣): قطعة من إفريز من الحجر الجيري مقسمة إلى جزئين، تصوير الباحث.

لوحة رقم (٤): افريز من الخشب، يمثل مشهداً نيلياً، تصوير الباحث.

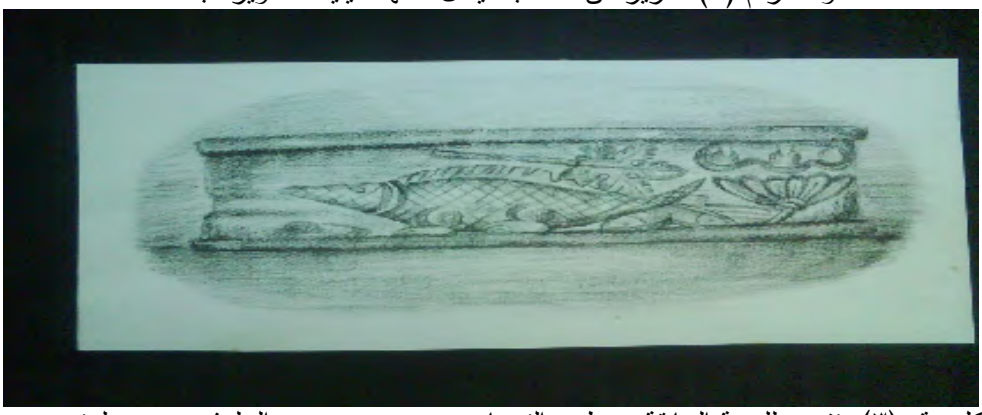

شكل رقم (٣): تفريغ للوحة السابقة، ويظهر التمساح وهو يسبح، وزهو النيلوفر وزهرة لوتس وردية كبيرة الحجم، عمل الفنانه سلمى طلعت محروس.

لوحة رقم (٥): حنية من الحجر الجيري مزدانة فى شكل قوقعة، تصوير الباحث.

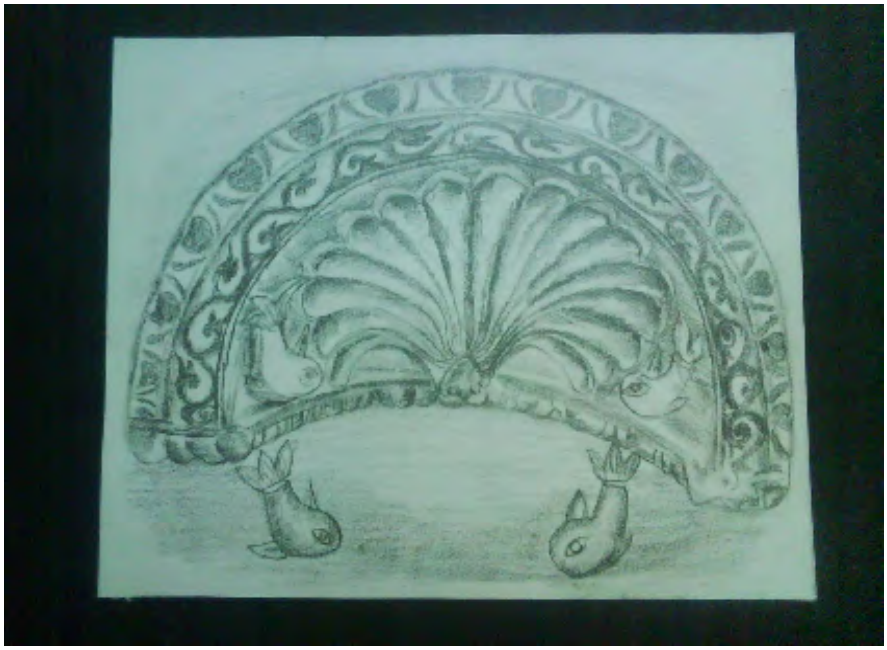

شكل رقم (٤): تفريغ للوحة السابقة، وتظهر القوقعة فى وسط الحنية وعلى يمينها ويسارها درفيل، وبالأسفل تفاصيل للدرفيلين، عمل الفنانه سلمى طلعت محروس.

لوحة رقم (٦): جزء من كتف جدارية، يبرز منها تمثل نصفي لإله النيل ملتحيا ومرتديا عصابة مزدانة بوريدات وزهرات رباعية، وتقف على كتفه حورية عاشقة تمسك ببطة، وتظهر على جانبي التمثال زهور اللوتس، نقلاً عن: Gawdat Gabra and Marianne Eaton-Krauss: The Illustrated Guide to the Coptic Museum and Churches of old Cairo, The American University of Cairo Press, New York, 2007, 176.

لوحة رقم (٧): منسوجة مزدانة بأسماك، وهى تمثل منظراً لمجموعة أسماك تسبح فى بحر فى إتجاهات مختلفة، نقلاً عن: معهد العالم العربي فى باريس: المرجع السابق، ص ١٦٦.

لوحة رقم (٨): قطعة من الطرف السفلى لقوس عقد من الحجر الجيري، تصوير الباحث.

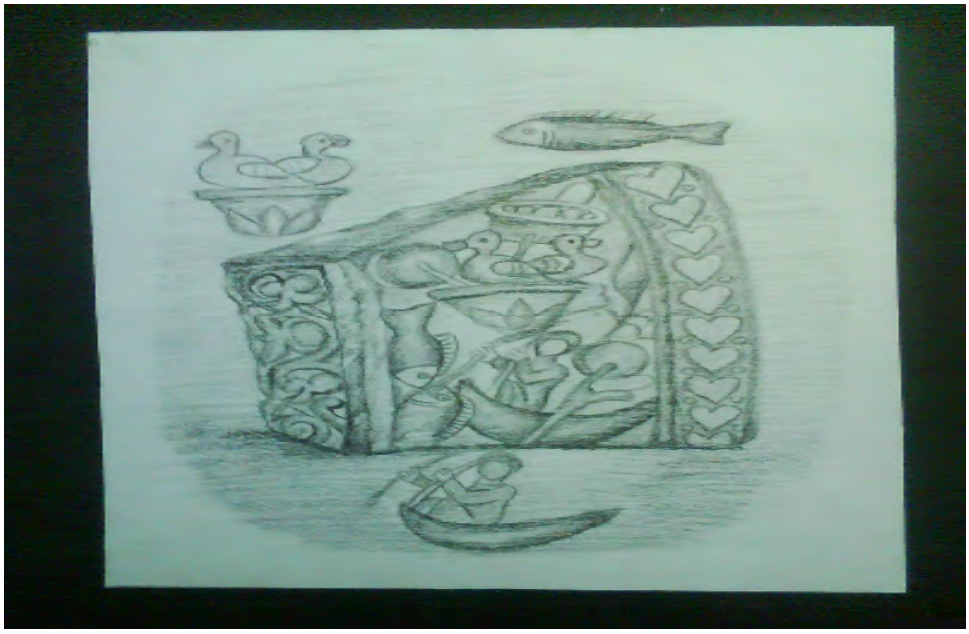

شكل رقم (٥): تفريغ للوحة السابقة، ويظهر الصياد وهو يجلس فوق زورق، وبجانبه سمكتين تسبحان فى وضع معاكس، وبالأعلى طائرين من البط، عمل الفنانه سلمى طلعت محروس.